المحاضرة السادسة: النظرية البيولوجية / الفطرية

تمهيد:

النظرية الفطرية أو البيولوجية من النظريات التي تجاوزت الفكر السلوكي المبني على المثير والاستجابة في العملية التعلمية والذي يهمل الاستبطان والعقل، إلى النظر في اللغة على أنها " تحمل لنا معلومات ثمينة عن عقلية المتكلم السامع وحالتهما النفسية والاجتماعية والفكرية، وهو ما لا يمكن للمثيرات و الاستجابات المتعددة أن تنقله إلينا ، أو نقوم باستخلاصها منها، إن السلوكية تسلب الانسان خصائص ماهيته ووجوده، المتمثلة في العقل والابداع وحرية الإرادة والتحكم والتصرف"([49]) .

تعريف النظرية : النظرية الفطرية نظرية عقلية تبحث عن الجوانب العميقة للغة عكس السلوكيين الذين يعتمدون الظاهر منها ن وهذا الاتجاه يرى أن " اكتساب اللغة مركوز في الانسان منذ الولادة ، أي أننا نولد بجهاز داخلي من نوع ما يوجهنا إلى اكتساب اللغة، أي إلى إدراك اللغة التي حولنا إدراكا منظما، وإلى انتاجها بعد استيعابها داخليا، وهذه الفرضية تدعمها شواهد كثيرة"([50])

موضوع اللسانيات في النظرية المعرفية: يرى تشو مسكي أن " الموضوع الأول للنظرية اللسانية هو المتكلم المستمع المثالي المنتمي لعشيرة لغوية متجانسة كليا والذي يعرف لغته، وعندما يطبق معرفته هذه في إنجاز فعلي فإنه لا يخضع للشروط النحوية غير الملائمة كقصور الذاكرة أو عدم الانتباه أو الأخطاء"([51])

مبادئ النظرية:

اكتساب اللغة:

رفض تشو مسكي ما ذهب إليه السلوكين من أن الطفل يولد صفحة بيضاء وأن تعلمه اللغة يتم عن طريق البيئة بواسطة الارتباطات والمحاولة والخطأ فهي كباقي السلوكات تتعلم تعلم المهارات اللغوية." فهو يؤكد فرضية ما يعرف بالفطرة (Innéisme)، أي الوجود الأولي للأفكار والبنيات المعرفية، ومنها البنيات اللغوية عند الانسان. فالإنسان دون غيره من الكائنات الحية يولد مزودا ببنية لغوية، وهي معرة أولية مستقلة عن البيئة تجعله قادرا على اللغة من جون تعلم خاص. والقول بالفطرية يعني أيضا الاستعداد البيولوجي الخاص عند الانسان للكلام" ([52])

---

[49] غلفان مصطفى، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2010، ص 32.

[50] دوجلاس، المرجع السابق ، ص38

[51] مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010 ص45

[52] سعيد الفراع، الطفل واكتساب اللغة بين التوليديةو البنائية. ص168

ولتوضيح فطرية اللغة أعطى تشومسكي مثلا بسيطا يرد على الرافضين لفطرية اللغة" القول بأن اللغة ليست فطرية كالقول بأنه لا فرق بين حفيدتي وصخرة وأرنب، وبعبارة أخرى لو أخذت صخرة وأرنبا و حفيدتي ووضعتهن في مجتمع يتحدث أناسه الانكليزية، فسيتعلم كل منهن اللغة الإنكليزية، لو اعتقد الناس بهذا؛ فسيعتقدون أن اللغة ليست فطرية" ([53])

القدرة / الانجاز:

القدرة: تتعلق بعملية الإنتاج و التأويل للجمل سواء التي سمعها الفرد من قبل أم لم يسمعها على الاطلاق" فكل متكلم يملك آلية مولّدة بكيفية واضحة ومحددة للجمل النحوية في لغة معينة إنتاجا وتأويلا صحيحين، إن هذه المعرفة الضمنية بقواعد اللغة هي ما يسميه تشو مسكي "القدرة اللغوية" "([54])

واختصار هي:" المعرفة الضمنية بقواعد اللغة، التي تقود عملية التكلم بها" ([55])

الإنجاز: ([56])

هو التنفيذ العملي لقواعد القدرة وآلياتها، إنه التحقق الفعلي للقواعد الضمنية التي يملكه الفرد المتكلم عن لغته، غير ان هذا الإنجاز ليس مطابقا للقدر ة التي تتسم بطابع التجريد العام، كونه تتحكم فيه مجموعة من العوامل منها:

-المقام والظروف التي ينجز فيها القول.

-الحالة النفسية للمتكلم.

- التفاوت الحاصل في المستوى الثقافيللأفر اد.

بين القدرة والانجاز

القدرة	الانجاز
نموذج مثالي ومتعالي عما هو مشترك بين المتكلمين بلغة ما	ممارسة فردية وصورة واقعية ملموسة
نسق ضمني من القواعد التوليدية المتسمة بالديناميكية	انعكاس للقدرة اللغوية وصورة تقريبية لها
مشتركة بين أفراد العشيرة اللسانية الواحدة	يختلف بالنظر إلى ثقافة الفرد وسلوكه النفسي ووضعه الاجتماعي
القدرة تقابل اللسان عند سوسير	الإنجاز يقابل الكلام

الإبداعية:

[53] نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ترجمة إبراهيم الكلثم ، ص75.

[54] مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، مرجع سابق، ص 41.

[55]ميشال زكريا، الالسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط 2 ، 1986 ،ص33

[56]مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 43

يرى تشو مسكي أن اللغة تتصف بالإبداعية عكس لغة الحيوان التي تتسم بالانغلاق التام؛ كل جنس يكتسب أصواتا معينة تبقى على صورتها الأولية إلى الأبد، وفكرة الإبداعية ليست جديدة بالنسبة للنظرية الفطرية فقد سبق ديكارت تشومسكي في ذلك" إن السمة الإبداعية للاستعمال العادي للغة ليست اكتشافا جديدا، بل تمدّ نا السّ مة الإبداعية للاستعمال العادي للغة بدعامة مهمة لنظرية العقل عند ديكارت" ([57])

فالإبداعية " استعداد المتكلم التلقائي لفهم وإنتاج عدد لانهائي من الجمل لم يسبق له تلفظها أو سماعها"([58]). كما أن امتلاك الفرد البشري للإبداعية التي تتمظهر أثناء سلوكه اللغوي هي التي تبين أنه" يمتلك استعدادات نوعية هي التي تساعده على انتاج وفهم عدد غير محدود من الجمل بناء على استخدامه لعددا معين من العناصر والوحدات اللغوية الصغرى ذات الوظائف الصوتية والصرفية والمعجمية"([59]).

الكليات اللغوية Les universaux linguistiques: خصوصية اللغة الإنسانية تجعلها مشتركة بين البشر حتى إن وُجدت اختلافات في مختلف بنياتها (الصوتية والصرفية والنحوية) والكليات نوعان مادية وصورية.

المادية: كل اللغات تشترك في الظاهرة الصوتية كمادة، وفي بعض الخصائص المميزة لها مثل: الشفوية و الانفجارية والاحتكاكية. وفي مستوى التراكيب، فكل اللغات تمتلك المقولات نفسها من قبيل: الفعلية و الاسمية والوصفية والحرفية.

الصورية: تتجلى في كون اللغات البشرية تعرف عددا مشتركا من المبادئ الصورية العامة المتعلقة بتنظيم اللغات من الناحية الشكلية، سواء في مستوى الدلالة أو مستوى التركيب. ([60])

---

[57] هناء صبري، فلسفة اللغة عند نعوم تشومسكي، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ط1، 2015.ص243.

[58] مختار درقاوي، نظرية تشو مسكي التوليدية التحويلية الأسس والمفاهيم، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ص6

[59] عبد العالي أحرشاو، الطفل واللغة تأطير نظري ومنهجي ،المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ، 1993.ص 60

[60] ينظر، سعيد الفراع، الطفل واكتساب اللغة بين التوليديةو البنائية، ص 169.